الشعر في ظلّ الرّسول صلى الله عليه وسلم

أبوالوفا محمود *

ليس بحثنا اليوم عن الشعر والشعراء في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم جديداً ، حتى نزعم لأنفسنا فضل الكشف عن جميع نواحيه ، بل هو جماع من أشتات من سبقونا في هذا الموضوع من الباحثين . لا نزاع في أن الشعر كان لدى العرب في جاهليتهم ديوان مفاخرهم وسجلّ مكارمهم ، وكان الشعر الجاهلي على الرغم من قصر عمره روضاً يبهر نوره ، ويسحر عطره ، وكان له في نفوس العرب منزلة عالية لا تساميها منزلة ، ومكانة رفيعة لا تدانيها مكانة . ولعظم شأن الشعر كانت القبيلة في الجاهلية إذا نبغ فيها شاعرٌ أقامت الأفراح والولائم ، وتبشر أفرادها وأتت القبائل تهنئها ، فالشاعر هو لسان القبيلة الناطق القائم بحماية الأعراض ، وتخليد المآثر ومدافعة الأعداء.

غير أن رسالة الشعر في الجاهلية كانت قد انحرفت كثيراً عن المبادئ والقيم والمثل العليا التي بها تصلح الحياة ، ويستقيم أمر المجتمع . فهاهم الشعراء في كل وادٍ همزوا الناس ولمزوهم ، وأشاعوا الفاحشة فيما بينهم ، وقذفوا المحصنات العفيفات ، ووقعوا في الأعراض وكشفوا عن العورات .

فلما جاء الإسلام وأراد الله أن ينسخ الظلام بالنّور ، وأن يبدل العرب بحياتهم في الحضيض حياة مثالية في القمة دينا وثقافة ، وسياسة واجتماعاً . لما أراد الله ذلك أبطل كثيرا من أمور الجاهلية ، وحمل المسلمين من الشعراء على هجر الكثير من أغراض الشعر التي تدخل في مدلول الغواية . فوجد الشعراء في الإسلام منهجاً مختلفاً عن منهجهم في الجاهلية ، فهو عقيدة تدعو للإصلاح ، وتوقظ الضمائر ، ويبشّر المسلمين ، ويتوعّد الغافلين . ولفضل الشعر عند العرب وعلوّ منزلته كان النبي صلى الله عليه وسلم يستمع الشعر ويستحسنه متى كان حقاً بريئاً من العبث .

لذا لم يقف الإسلام موقفاً عدائياً من الشعر ، بل احتفى بالجيّد الجادّ منه ، واعتد به كسلاح من أسلحة الدعوة الجديدة ، وتبيّن لنا من كتب السيرة أن كثيراً من الصحابة كانوا شعراء ، أو – على الأقلّ – يروون الشعر ويتذوّقونه . ولا غرو فالشعر ديوان العرب ، ولسان حالهم ، وسجلّ وعيهم وتاريخهم ، فتأثر شعرهم بالإسلام ، وتطور في ضوء قيمه ودعوته الكريمة .. إن أمامهم كتاباً منزلاً معجزاً بلغة العرب ، نفس اللغة التي يكتبون بها ، كتاباً يتجاوز بآياته حدود الإبداع البشري . ووقع الشعراء في مأزق لا يحسدون عليه ، فكيف بهم وقد هبط الوحي السماوي يحيط بأكثر وأصدق وأقوى مما ينطق به الشعراء . فالشعر في عصر النبي صلى الله عليه وسلم أمام عقيدة تتيح المناقشة والجدل وتتطلب الملاحقة الملحة ، ولأن طبيعة الشعر المواكبة بالتعبير ، فقد كان طبيعياً أن يتناول الشعر تلك الأصداء بأسلوب يخالف ذلك الأسلوب الذي اتخذه في العصر الجاهلي ، ثم هو يتجاوز مجرد الحدود الجغرافية والنفسية إلى ما خلفها مع الفتوحات حيث يتعانق مع ثقافات جديدة ، وينخرط في المعارك السياسية والعقائدية .

وجد الشعراء أنفسهم أمام تحديات من نوع جديد ، لم تعد القبيلة تمدهم بالحماية ، ولم يعد المدح يجدي وحده للتكسب ، وإنما تغيرت قسمات المجتمع تغيراً ملموساً . ووجدوا في ظلّ النبوة منهجاً مختلفاً عن منهجهم في الجاهلية ، فهو عقيدة تدعو للإصلاح ، وتوقظ الضمائر ، ويبشر المؤمنين ، ويتوعد الغافلين . فقد جاء النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بدين يدعو إلى الوحدة ، وينبذ العصبية والقبلية والعنصرية .. دين يقدر الإنسان حيث يعمل ، وحيث يسير ، وحين يفكر ويتدين فلا إجبار على شيء بغير اقتناع ولا اضطهاد لغير المسلم . هل يتوقف الشعراء أمام كل هذه المتغيرات بلا تعبير جديد مختلف – ولو نسبياً – عما كان من قبل ! ؟

لقد أدرك الإسلام ما للشعر من دور خطير في المجتمع فوجهه وجهة نفعية ، وفرض عليه وصاية أخلاقية وأخضعه لسلطان العقل ليجتنب كل الانزلاقات . يرجع ذلك - أساساً – إلى فهم الإسلام

---

* الأستاذ المساعد بمركز الشيخ زايد الإسلامي ، جامعة بنجاب ، لاهور.

للنفس الإنسانية باعتبارها كتلة من الأهواء والغرائز والميول . وقد كانت مواقف النبي عليه الصلاة والسلام وصحابته الكرام ترجمة حيّة لهذه المبادئ . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسن الاستماع إلى الشعر ويكافئ الشعراء عليه ، ويطرب لسماعه ، ويعجب بروعة أدائه . ومن ذلك ما روي أنه صلى الله عليه وسلم قد خلع بردته على كعب بن زهير بعد أن استمع قصيدة " بانت سعاد ".

وليس الرسول صلى الله عليه وسلم وحده هو الذي كان يطرب للشعر ، ويحسن الاستماع إليه، بل درج على هذا أصحابه رضوان الله عليهم . ففي رحاب الخلفاء الراشدين لم تذو أزهار الشعر ولم يجف عوده . فكان لأبي بكر رضي الله عنه بصر بالشعر وإدراك له ، فهو يقدم النابغة على غيره من الشعراء ، ويقول : " هو أحسنهم شعراً وأعذبهم بحراً وأبعدهم غوراً " . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه عالماً بالشعر ، فكانت له مواقف كثيرة ومتعددة إزاء الشعر والشعراء ، حتى قيل : كان عمر رضي الله عنه لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر . روي أن عمر سأل ابن عباس : هل تروي لشاعر الشعراء ؟

قال ابن عباس ، فقلت : ومن هو؟

قال : الذي يقول :

ولو أن حمداً يخلد الناس أخلدوا ولكن حمد الناس ليس بمخلد

قلت : فذاك زهير .

قال : فذاك شاعر الشعراء .

قلت : وبم كان شاعر الشعراء ؟

قال : لأنه كان لا يعاظل في الكلام ، وكان يتجنّب وحشيّ الشعر ، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه[1].

وكان لشعور عمر رضي الله عنه وملاحظاته أثر بالغ في توجيه الشعر في أيامه والسير به على جادة الحق والطريق السويّ . فقد منع الشعراء من التشبيب بالنساء وتوعدهم بالجلد ، كما حرم الهجاء ومنعه لأن فيه إثارة للأحقاد والضغائن . وموقفه مع الحطيئة مشهور حين هجا الزبرقان بن بدر، فسجنه عمر رضي الله عنه .

كذلك لعثمان بن عفان رضي الله عنه مواقف مع الشعراء تشبه مواقف عمر مع الحطيئة ، وحبس أيضاً ضابئ بن الحارث ، وكان شاعراً هجاء خبيثاً[2]. كما عمل على توجيه الشعر إلى أسمى الغايات وأنبل الصفات .

ونجد علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه في الذروة من البلاغة والفصاحة ، بارعاً في خطبه وأقواله، وقد نسبت له أشعار كثيرة . وكان يقول في امرئ القيس : " هو أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة"[3]. وكان أشهر الصحابة رضوان الله عليهم ميلاً للشعر ونقداً له وحكماً عليه وتمثلاً به .

لابد من تصحيح مفهوم ساد كتابات بعض المؤرخين مثل ابن خلدون الذي يرى أن الشعر قد ضعف في صدر الإسلام ، ولم يحدث فيه تطور أو تجديد . يقول في مقدمته :

> " إن الشعر كان ديواناً للعرب ، فيه علومهم وأخبارهم وحكمهم ، وكان رؤساء العرب منافسين فيه ... ثم انصرف العرب عن ذلك أول الإسلام ، بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحي ، وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه ، فأخرسوا عن ذلك ، وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زماناً ، ثم استقر ذلك وأونس الرشد من الملة ، ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وخطره ، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأثاب عليه ، فرجعوا حينئذ إلى ديدنهم منه .." (4).

إن ابن خلدون يجعل توقف الشعراء عن الشعر مدة نزول الوحي على الرسول ، بيد أن الواقع يواجه هذا الحكم مواجهة حادة واضحة ، فليست القضية ضعف الشعر ، بل هي مسألة الشعر وفق

المفهوم الإسلامي الذي يقوم على المكون الديني والأخلاقي . أما الآية الكريمة ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ *﴾ الشعراء، : 224- 226

فهذه الآيات ليست ذمّاً للشعر ، وإنما هي رفض للمنهج المتبع في التعبير الشعري ، قوامه التخييل الذي يقوم على الوهم ، لأن هذا التخييل ، إذا أرخي له العنان دون وازع أو ضابط عقلي ، فإنه يبتعد عن الواقع إلى المحال ، وعن الحقيقة إلى الكذب ، وربما عن الحق إلى الباطل . بل المطلوب هنا ذلك الشعر الذي يقوم على جمالية الصدق والمعنى .

يقول الدكتور شوقي ضيف : " واضح من نفس هذه الآيات أن القرآن إنما يهاجم شعراء المشركين الذين كانوا يهجون الرسول ويثبّطون عن دعوته : فالقرآن لم يهاجم الشعر من حيث هو شعر، وإنما هاجم شعراً بعينه كان يؤذي الله ورسوله "[5].

أوكما قال الأستاذ عبدالله الحامد : " إن الإسلام ينظر إلى الشعر باعتباره فناً جميلاً ، يطلب فيه الإمتاع والرواء أولاً ، ويستحسن في الإقناع والاعتماد على الدعوة الهادفة ، والإسلام ينظر إلى الشعراء باعتبارهم محلقين في أودية الخيال يهيمون ، يتخيلون ما يكون وما لا يكون، فيعطي الشاعر الحرية في أن يقول ما يشاء ما لم تصطدم حريته بحرية الآخرين أو بهدم خلق قويم، أو النيل من العقيدة أو الأخلاق بأسلوب صريح أو غير مباشر ... إن الإسلام حين ذمّ الشعر قصد منه ما يدعو إلى فساد المجتمع ، والدين والخلق[6].

كان الشعر في ظلّ الرسالة معظمه ملازماً للمعارك والحروب التي خاضها المسلمون ضد مشركي قريش بالسنان واللسان . فحينما اشتدّ على الرسول أذى قريش ، طلب من أصحابه أن ينصروه بألسنتهم، فوقف حسان بن ثابت إلى جانب الرسول الكريم يدافع عنه، وانضم إليه نفر من الشعراء ينافحون عن الدعوة ، ويردون على شعراء مكة بالحجة والمعارضة القوية، أبرزهم عبدالله بن رواحة وكعب بن مالك ، ولكن حسان كان أشدهم إيلاماً ، بل كان أدماهم رمياً وأنكاهم جرحاً. وقيل: حين أراد (صلى الله عليه وسلم) أن يختار شاعراً يصدّ أذى قريش ، جاءه علي بن أبي طالب فصرفه، وعبدالله بن رواحة، فلم يعجبه هجاؤه وكعب بن مالك، فاستحسنه، فلما قال حسان، قال: لقد شفى واشتفى"[7].

وأوجد الإسلام – في بدايته – ميداناً واسعاً للمنافسة الإعلامية، فتبدأ معارك الدعوة، ويجد الشعرمجالاً خصباً لأدواته. وهي معارك ذات أهداف تخالف تلك التي كانت تعتمد في الجاهلية على الإغارة والسلب.. يعلو صوت الشعر إلى جانب صوت السيوف. كما تطورالهدف من القبلية وساداتها إلى الجماعة ورسولها، وتطورت التضحية من مجرد المشاركة بالنفس، إلى التضحية بكل شيء في الحياة.

لقد تغير جلد المجتمع في صدر الإسلام ، ودخلت الشعر صورٌ جديدة للفروسية في إطار الدين الجديد ، وصور أخرى للإيمان العميق في انطلاق مخلص إلى البناء . كما برزت موضوعات جديدة مستوحاة من الدعوة الإسلامية ، فكان الشعر في معترك الإسلام مواكباً ناقداً مقارعاً متطوراً ، وتغيرت مضامين أغراض الشعر من فخر قبلي ذاتي إلى ذلك الوجدان الجماعي لجماعة المسلمين ، ومن التعصب لحقوق القبيلة إلى الدفاع عن الأهداف السامية للإنسان المسلم ، ومن تمجيد الأصنام التي لا تنفع ولا تضرّ إلى تمجيد إله واحد عظيم . كما أن الشعر في هذا العصر قد تفجر على ألسنة رجال لم يكن لهم عهد بالشعر من قبل من أمثال أبي طالب وخالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص وغيرهم ... وقد " نُظم كثير من المراثي في قتلى المسلمين والمشركين .. ولما انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى بكاه الشعراء بكاء حاراً... وأكبر الظن أنه اتضح كيف أن الشعر في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كان يجري على كل لسان ، ويكفي أن نرجع إلى سيرة ابن هشام فسنرى سيوله تتدافع من كل جانب .."[8].

وحين نتعرض إلى كوكبة الشعراء الذين كانوا يملؤون الساحة الشعرية في صدر الإسلام .. نجدهم كثرة ، وهؤلاء حملوا عبء الدفاع عن الدعوة الإسلامية ، وجعلوا من شعرهم أداة اجتماعية ملتزمة بخدمة المبادئ والأهداف المحددة لها . فمن هؤلاء الذين أسهموا بفكرهم في خدمة الإسلام في ظلّ الرسالة هم :

خبيب بن عدي رضي الله عنه (00 – 3هـ) :

هو الشاعر الصحابي الشهيد خبيب بن عدي بن عامر بن مجدعة الأنصاري ، شهد أحداً ، وكان فيمن بعثه النبي صلى الله عليه وسلم مع بني لحيان ، فلما صاروا بالرجيع ، غدروا بهم ، واستصرخوا عليهم وقتلوا فيهم ، وأسروا خبيباً ، وزيد بن الدثنة ، فباعوهما بمكة ، فقتلوهما[9]. وروى البخاري في صحيحه "عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ".. فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب : دعوني أصلي ركعتين فتركوه ، فركع ركعتين ، وقال بعدهما : والله لو لا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدت ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تبق منهم أحداً ، ثم أنشأ يقول :

فلست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله ، وكان خبيب هو سن لكل مسلم قتل صبراً الصلاة ، وأخبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم أصيبوا خبرهم .."[10].

وذكر ابن هشام في السيرة [11] الأبيات التي قالها قبل استشهاده ، حيث يتضح لنا في شعره صدق التجربة ووضوح المعاناة ، وما بذله صاحبه في سبيل الله تعالى من الجهاد الحقيقي .

عبد الله بن رواحة رضي الله عنه (00 – 8هـ):

هو أبو محمد عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي ، أحد السابقين والأمراء والشعراء المعروفين . شهد بدراً وأحداً والخندق . روى البخاري في صحيحه "عن البراء رضي الله عنه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وهو ينقل التراب حتى وارى التراب شعر صدره ، وكان رجلاً كثير الشعر ، وهو يرتجز برجز عبد الله بن رواحة ..."[12]. وكان أحد الأمراء وحملة اللواء في مؤتة ، ولم يترك اللواء رغم جراحه حتى سقط شهيداً .

لقد صرف ابن رواحة معظم شعره نحو نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والدفاع عن دعوته وبيان ما اتصف به هذا النبي من الخلال الحميدة وحسن الخلق ، يقول :

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

قال عبد الله بن رواحة يهجو قريشاً :

نجالد الناس عن عرض فنأسرهم فينا النبي وفينا تنزل السور
وقد علمتم بأنا ليس غالبنا حي من الناس إن عزوا وإن كثروا
يا هاشم الخير إن الله فضلكم على البرية فضلاً ما له غير
إني تفرست فيك الخير أعرفه فراسة خافتهم في الذي نظروا
ولو سألت واستنصرت بعضهم في حل أمرك ما ردوا ولا نصروا
فثبت الله ما أتاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

قال صلى الله عليه وسلم : " وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة " [13].

كان عبدالله بن رواحة "دائم الاستمداد من القرآن يستلهمه في هجائه للمشركين ، وفي كل ما ينظم من أشعار "[14] ، وكان شاعراً فارساً بطلاً ، جاهد في الله حق جهاده باليد واللسان حتى لحظة الشهادة .

ضرار بن الأزور الأسدي رضي الله عنه (00 – 11هـ):

هو أبو الأزور ضرار بن مالك الأزور الأسدي ، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وأنشده :

تركت الخمور وضرب القدا ح واللهو تعلله وانتهالا
خلعت القداح وعزف القيا ن والخمر أشربها والثمالا
وكري المجبّر في غمرة وجهدي على المشركين القتالا

وقالت جميلة : بددتنا وطرحت أهلك شتى شمالا
فيا رب لا أغبنن صفقتي فقد بعت أهلي ومالي بدالا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما غبنت صفقتك يا ضرار ! " [15].

كان ضرار بن الأزور شاعراً مطبوعاً ، وأحد الأبطال في الجاهلية والإسلام . قاتل يوم اليمامة أشد قتال ، حتى قطعت ساقاه ، فجعل يحبو على ركبتيه ويقاتل ، والخيل تطؤه فمات بعد أيام في اليمامة(16).

عبدالله بن الزِّبَعْرَى رضي الله عنه (00 – 15هـ):

إن عدداً من الشعراء قد تأخر إسلامهم إلى تاريخ فتح مكة ، وخاصة شعراء قريش الذين أيقنوا عند الفتح أن الإسلام حق ، وشاعرهم أبو سعد عبدالله بن الزبعري بن قيس السهمي القرشي الذي قد نصب سهام شعره لهجاء الإسلام ، وكان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة ، فهرب إلى نجران ، فقال فيه حسان بن ثابت :

لا تَعدَمَنْ رجلاً أحلك بُغضُه نجران في عيش أحدّ لئيم

فعاد ابن الزبعري إلى مكة واعتذر ، ومدح النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً :

مَنَع الرقادَ بلابلٌ وهمومُ والليل معتلج الرواق بهيم
إني لمعتذر إليك من الذي أسديت ، إذا أنا في الضلال أهيم
فاغفر ، فدىً لك والداي كلاهما ، ذنبي ، فإنك راحم مرحوم
ولقد شهدت بأن دينك صادق حق ، وأنك في العباد جسيم

فقبل النبي صلى الله عليه وسلم عذره ، وأمر له بحلة . فلما تاب إلى الحق ، وآمن برسول الله فإذا بالندامة تعتصر فؤاده لما فرط منه في جانب الإسلام ورسوله . وذكرت المصادر النتاج الأدبي الرائع الذي ينبئ عن شعور إسلامي صادق ، يحمل في طياته الندامة . ثم شهد ابن الزبعري ما بعد الفتح من المشاهد . يقول ابن عبدالبر القرطبي عنه : " كان من أشعر الناس وأبلغهم .. وله في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم أشعار كثيرة ينسخ بها ما قد مضى من شعره في كفره "(17).

العباس بن مرداس رضي الله عنه (00 – 18هـ):

هو أبوالهيثم العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي ، شاعرٌ فارسٌ ، من سادات قومه ، أسلم قبل فتح مكة ، وحضر مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح في تسعمائة ونيف من سليم ، وانضموا إلى جيش الرسول بالقنا والدروع على الخيل[18]. وكان له فرس يقال له العُبيد ، وقد ذكره في شعره عقب تقسيم الغنائم ، حين قصّر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من العطاء . روى مسلم في صحيحه في معرض حديثه عن غزوة حنين ، قال : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب ، وصفوان بن أمية ، وعيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس كل إنسان منهم مائة من الإبل ، وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك ، فقال عباس بن مرداس :

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع
فما كان بدر ولا حابس يفوقان مرداس في المجمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تَخفض اليوم لا يُرفع

قال : فأتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة [19].

مات في خلافة عمر رضي الله عنه سنة 18هـ.

كعب بن زهير رضي الله عنه (00 – 26):

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني ، وكان له أخ اسمه بجير . لقد سبقه أخوه بجير إلى الدخول في الإسلام ، فلما علم كعب غضب منه وهجاه ، فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه . وحين ضاقت السبل بكعب ، جاء تائباً بين يدي الرسول الكريم ، ومدحه بقصيدته المشهورة :

بانَتْ سعادُ فقلبي اليوم متبولُ متيّم إثرها – لم يفد – مكبُولُ

وقال فيها :

إن الرسول لنورٌ يستضاء بـه مهنّدٌ من سيوف الله مسلـولُ [20] .

فكساه النبي صلى الله عليه وسلم بردة ، وأصبح كعب من شعراء الإسلام يدافع بالكلمة ، ويحضّ الناس على الجهاد في سبيل الله .

أبو ذؤيب الهذلي رضي الله عنه (00 – 28هـ):

هو أبو ذؤيب خويلد بن خالد بن محرّث ، أحد شعراء قبيلة هذيل التي اشتهرت بكثرة شعرائها، أدرك الإسلام وأسلم ، فحسن إسلامه . هو أحد الشعراء المرزّئين الذين ثُكلوا بأولادهم . فقصيدته العينية من القصائد الخوالد في الشعر الرثائي ، التي يرثي فيها بنيه الخمسة الذين توفوا في عام واحد ، مطلعها :

أمن المنـون وريبـها تتوجّـع والـدهر ليس بمُعتِب من يجـزعُ

وفيها من الأبيات المشهورة :

وإذا المنيَّـةُ أنشبتْ أظفـارهـا ألفيـتَ كلَّ تميـمةٍ لا تنـفـعُ

والنفس راغبةٌ إذا رغَّبتَـهـا وإذا تُـردُّ إلى قـلـيـل تَـقـنَـعُ

غزا أبو ذؤيب أرض الروم مع المسلمين ، فلما قفلوا أخذه الموت سنة 28هـ (21).

لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه (00 – 41):

هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة بن مالك العامري ، أحد أصحاب المعلقات ومن الشعراء الفرسان . أدرك الإسلام ووقدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد بني كلاب فأسلموا ، ثم قدم الكوفة ، فأقام بها إلى أن مات .. وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة(22).

ومعلقة لبيد خير شعره الذي أنشده قبل إسلامه،وشكر ربه بعد أن أدرك الإسلام واعتنقه ديناً، فقال:

الحمد لله إذ لـم يأتني أجـلـي حتى كسـاني من الإسلام سربـالا

فنطق لبيد بأشعار تشعر بالتقوى والإذعان لإرادة الخالق القدير ، يقول :

إن تـقـوى ربنـا خيـر نفـل وبـإذن الله ريثي والـعـجـل

أحمـد الله ، ولا نـد لـــه بيـديه الخيـر، ما شـاء فعل

من هداه سبل الخيـر اهتـدى ناعم البـال ، ومن شاء أضـل

لقد صرف لبيد شعره نحو ما يقوّم منهجه ، ويزيد في إيمانه . وقال رسول الله فيه : إن أصدق كلمة قالها شاعر : كلمة لبيد :

ألا كل شيء ما خـلا الله باطـل وكل نعيـم لا محـالة زائـل [23]

في هذا القول يتجلّى إيمان لبيد المكين بالله واستسلامه لمشيئة ربه كأنه يصرخ أن كل شيء تحت الشمس باطل . فشعره يفيض بالروح الإيمانية والشعور الإسلامي الصادق في قوله :

إذا المـرء أسرى ليـلة ظنّ أنـه قضـى عملاً ، والمرء ما عـاش آمـلُ

حبـائلـه مبـثـوثـة بسـبيله ويفنى إذا ما أخطـأتـه الحـبـائـلُ

وكل امرئ يومـاً سيُـعلم سعيه إذا كُشـفت عـند الإله المحـاصـلُ

كعب بن مالك رضي الله عنه (25 ق.هـ. – 50 هـ):

هو أبو عبدالله كعب بن مالك بن عمرو الأنصاري السلمي الخزرجي ، كان أحد شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يردّون الأذى عنه ، وكان مجوداً مطبوعاً[24]. شهد بيعة العقبة ودخل في الإسلام،ثم شهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم جميع الغزوات ، ولم يشهد بدراً وتخلف عن تبوك، وهو أحد الثلاثة الذين قال الله فيهم : ﴿ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ، حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ سورة التوبة : الآية : 118

وحين التحق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى رثاه كعب بقوله :

وباكيةٍ حراء تحزن بالبكا وتلطم منها خدّها والمقلدا
على هالك بعد النبي محمد ولو علمت لم تبك إلا محمدا
فُجعنا بخير الناس حياً وميتاً وأدناه من رب البرية مقعدا
وأفظعهم فقداً على كل مسلمٍ وأعظمهم في الناس كلهم يدا (25)

حسان بن ثابت رضي الله عنه (60 ق. هـ – 54 هـ):

هو أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري ، شاعر النبي صلى الله عليه وسلم ، وله به صلة قرابة ورحم ، فكان من أخواله بني النجار . وكان شديد الهجاء فحل الشعر . عاش نصف عمره في الجاهلية ونصفه في الإسلام ، وعمي في آخر أيامه , وتوفي في المدينة .

قالت عائشة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان : " إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله " ، وقالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " هجاهم حسان فشفى واشتفى .. "(26) .

أسهم حسان بن ثابت رضي الله عنه بعدد من القصائد الشعرية في وصف بعض المعارك الإسلامية الفاصلة مع الكفار أعداء الإسلام ، بما عكس الشعور الصادق عنده . وقد دافع حسان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفاعاً جاداً يليق بعظم المسؤولية تجاه العقيدة ومكانتها ، فأتى شعره يفيض بروح الإيمان الحقيقي ، يقول :

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
هجوت محمداً برّاً حنيفاً رسول الله شيمته الوفاء
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء
فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء (27)

ورثى حسان رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصائد حزينة تدل على عظم فقد هذا النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول :

ما بال عيني لا تنام كأنما كحلت مآقيها بكحل الأرمد
جزعاً على المهدي أصبح ثاوياً يا خير من وطئ الحصا لا تبعد (28)

كان حسان بن ثابت ينشد الرسول صلى الله عليه وسلم شعره في مسجده ، وكان عنده له منزلة رفيعة ، وقد اتفق الرواة والنقاد على أنه أشعر أهل المدر في عصره ، وأنه أشعر أهل اليمن قاطبة (29).

النابغة الجعدي رضي الله عنه (00 – 65هـ):

هو أبو ليلى عبدالله بن قيس بن عدس الجعدي العامري ، شاعر مفلق مطبوع فصيح غير متكلف ، اشتهر في الجاهلية وسمي النابغة لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ، ثم عاد إلى قول الشعر في الإسلام ونبغ فيه .

وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه سنة تسع للهجرة ، وأنشده القصيدة الرائية يقول فيها :

أتيتُ رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتاباً كالمجرّة نيّرا

وقال فيها :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال له نبي الله:إلى أين أبا ليلى؟ فقال:إلى الجنة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:إن شاء الله. وأنشده:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدّرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا (30)

ومن الشعراء الراجزين :

عامر بن الأكوع رضي الله عنه (00 – 7هـ):

هو عامر بن سنان الأكوع بن عبدالله بن بشير الأسلمي ، عاش إلى يوم خيبر ، فضرب رجلاً من اليهود فقتله ، وجرح نفسه خطأ ، فمات من جراحته ..[31]. وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع ... ويقال أخوه[32].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما " عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر فسرنا ليلاً . فقال رجل من القوم لعامر : يا عامر ألا تسمعنا من هنيهاتك ، وكان عامر رجلاً شاعراً ، فنزل يحدو بالقوم ، يقول :

(لاهُمَّ) لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما أبقينا وألقين سكينة علينا
وثبّت الأقدام إن لاقينا إنا إذا صيح بنا أبينا
وبالصياح عوّلوا علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هذا السائق ؟
قالوا : عامر بن الأكوع .
قال : يرحمه الله [33].

رحم الله عامر بن الأكوع ، ما أجمل هذا الحداء الذي اتصل بمسيرة المجاهدين الأبرار ، وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنه لصوت مؤثر ، تمتزج كلماته بحركات المسلمين في طريقهم للعدو ، يقودهم صفوة الخلق ، وهو يتلطف في سماع الرجز .

مالك بن نمط الهمداني رضي الله عنه :

لم تبلغ الرسالة المحمدية العقد التاسع من الهجرة حتى بلغ هذا الدين الآفاق ، وأخذت الوفود في شعرائهم تترى نحو المدينة المنورة لتعلن إسلامها ، كما قال الله عز وجل : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُوْنَ فِيْ دِيْنِ اللهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً*﴾ سورة النصر ، الآيات : 1-3 . فمن ضمن هؤلاء ذو المشعار أبو ثور مالك بن نمط بن قيس الهمداني الأرحبي ، قدم مع قومه همدان سنة 9هـ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة . كان شاعراً رجازاً وخطيباً ، وكان من رؤساء همدان ، استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه سنة 9 هـ . ارتجز بين يدي رسول الله قائلاً :

إليك جاوزت سواد الريف في هبوات الصيف والخريف ومخطمات الليف [34]

وله شعر آخر في هذا الشأن :

ذكرت رسول الله في فحمة الدجى ونحن بأعلى رحرحان وصلدد
وهن بنا خُوضٌ طلائح تغتلي بركبانها في لاحب متمدد

وقد وُصِف هذا الشاعر بأنه كان شاعراً محسناً (35).

الأغلب العجلي رضي الله عنه (70 ق.هـ - 21هـ):

هو الأغلب بن عمرو بن عبيدة العجلي ، أول من رجز وأطاله . أسلم فحسن إسلامه ، وهاجر . سكن الكوفة ، واستشهد في وقعة نهاوند ، وقبره هناك . وله في الفخر:

نحن جلبنا الخيل من غوار شوازباً يقذفن بالأمهار
تردي بنا طوامح الأبصار يحملن تحت الرهج المثار (36).

علي بن أبي طالب رضي الله عنه (23 ق.هـ. – 40هـ):

هو أمير المؤمنين ، رابع الخلفاء الراشدين ، أحد العشرة المبشرة بالجنة ، ابن عم النبي وصهره أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب الهاشمي . ولد بمكة ، وربي في حجر النبي صلى الله عليه

وسلم ، ولم يفارقه . كان أحد الشجعان الأبطال ، وأول الناس إسلاماً بعد خديجة , وولي الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان سنة 35 هـ.

لقد وجد من شعره شيء يسير من الرجز، حين خرج مرحب اليهودي في غزوة خيبر، وقال :

قد علمت خيبر أني مرحبُ شاكي السلاح بطل مجربُ
إذا الحروب أقبلت تلهّبُ

فقال علي كرّم الله وجهه :

أنا الذي سمّتني أمي حيدرهْ كليث غابات كريه المنظرهْ
أفيهُم بالصاع كيلَ السندرهْ

ومن شعر علي رضي الله عنه لما قتل عمرو بن عبد ودّ ، قوله :

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ونصرت ربّ محمد بصوابي
فصددت حين تركته متجدّلا كالجذع بين دكادك وروابي
وعففت عن أثوابه ولو أنني كنت المقطّر بزّني أثوابي
لا تحسبن الله خاذل دينه ونبيه يا معشر الأحزاب (37) .

سلمة بن الأكوع رضي الله عنه (00 – 74هـ):

هو أبو عامرسلمة بن سنان الأكوع الأسلمي من أبطال المسلمين ورماتهم ، وأحد الشعراء الراجزين الذين عاشوا في ظلّ رسول الله ، ومن الذين بايعوا تحت الشجرة. غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع غزوات، وهو الذي كلّمه الذئب. وحين علم أن غطفان وفزارة أخذوا لقاح النبي، صرخ ثلاث صرخات، يا صباحاه ! ثم أدركهم بذي قرد ، وجعل يرميهم بسهامه ، ويرتجز بشعره قائلاً:

أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

حتى استنقذ اللقاح منهم، وعاد عودة الفرسان ليخبررسول الله. فقال له رسول الله: ملكت فأسجحْ "(38).

وهناك شعراء آخرون وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ينافحون عنه ويدافعون عن دعوته ، ولكن لم يبلغوا مبلغ هؤلاء المذكورين أعلاه في شهرتهم الشعرية ، وقد رويت لهم أشعار تدل على إيمانهم العميق مثل : أبو قيس صرمة بن أبي أنس ، وأبوالدرداء ، والنمر بن تولب ، وسويد بن أبي كاهل اليشكري . وهناك شعراء خرجوا إلى الجهاد في سبيل الله ، ونظموا أناشيد حماسية نحو عمرو بن معديكرب الزبيدي ، وعبدة بن الطبيب ، ومنهم من أسلم واعتذر للرسول صلى الله عليه وسلم كأبي سفيان بن الحارث وغيره . والشعراء كثيرون - ذكرنا البعض من هذا البحر الزاخر - الذين كانوا يذودون في ظل رسول الله عن حياض هذا الدين بسيوفهم وألسنتهم ، ويؤسسون معه قواعد الدولة الإسلامية الكبرى . وبفضل حضّ الرسول صلى الله عليه وسلم على قول الشعر قد شجّع الكثيرين - ممن لديهم الموهبة – على خوض هذه الساحة ، وإفراغ ما يحملون من شحنات فنية مكبوتة في وجدانهم، فاكتسب الشعر فرساناً آخرين إلى ساحته .

هوامش

1- أبو الفرج الاصفهاني ، الأغاني ، 139/9 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الرابعة 2002 م.
2 - ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، 203/1 ، طبعة ليدن ، 1902م .
3 _ ابن رشيق ، العمدة ، 43/1 .
4 - ابن خلدون ، المقدمة ، ص : 532 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 2001م .
5 _ شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ، 2/ 44 ، الطبعة الثامنة ، دار المعارف ، مصر .
6 - د. عبدالله الحامد ، الشعر الإسلامي في صدر الإسلام ، ص : ، الرياض ، ط 1 ،1980م.
7 - شرح النووي على صحيح مسلم ، 16/ 48 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1981م.
8 _ تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف ، 2/ 52 ، 53 .
9 - الذهبي ، محمد بن أحمد ، سير أعلام النبلاء : 246/1 ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة السابعة 1990م .
10- صحيح البخاري ، 5/ 11 – 13، المكتبة الإسلامية باستنبول ، 1898م .
11- ابن هشام ، السيرة النبوية 185/3-186 تحقيق : مصطفى السقا وآخرين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان
12- صحيح البخاري ، 25/4 .
13- المقدسي ، عبدالغني بن عبدالواحد ، جزء أحاديث الشعر ، ص : 99 ، تحقيق : إحسان عبدالمنان ، ط1 ، المكتبة الإسلامية عمان ، الأردن ، 1989م. و خالد محمد خالد ، رجال حول الرسول ، ص : 352 ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
14 _ تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف ، 2/ 68 .
15 - القرطبي ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، 203/2 ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ، ط 1 ، 1995م.
16 - الزركلي ، الأعلام ، 215/3 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1984م.
17 - الاستيعاب ، 301/2، 302 .
18- الشعر والشعراء ، ص : 469 .
19- شرح النووي على صحيح مسلم ، 7/ 154 .
20- الشعر والشعراء ، ص : 67-68
21- تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف ، 2/ 73 ، 74 . والشعر والشعراء ، ص : 416 .
22 - الشعر والشعراء ، ص : 148، 149 .
23 - شرح النووي على صحيح مسلم 12/15-13 .
24- الاستيعاب ، 270/3 ، وسير أعلام النبلاء ، 523/2 .
25 - ديوانه ، تحقيق سامي مكي ، ص : 198 ، ط 1 ، مطبعة المعارف ، بغداد ، 1966 .
26 - شرح النووي على صحيح مسلم ، 16/ 49 ، وسير أعلام النبلاء ، 517/2 .
27 - ديوان حسان بن ثابت ، 17/1، تحقيق وليد عرفات ، دار صادر ، بيروت .
28 - المصدر السابق ، 1/ 269 .
29 - تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف ، 79/2 .
30- الشعر والشعراء ، ص : 158 ، 159 . والأصبهاني ، أبوالفرج ، الأغاني ، 12/5-13 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الرابعة 2002م .
31 - المرجع نفسه ، 267/5 .
32 - ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، 240/2 مكتبة المثنى ، بغداد ، تصوير الطبعة الأولى ، 1328 هـ .
33 - صحيح البخاري ، 5/ 72-73 ، وشرح النووي لصحيح مسلم ، 166/12 .
34 - الإصابة ، 356/3 .
35- الأعلام ، 251/3 .
36 - الشعر والشعراء ، ص : 389 . و عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ، 274/1 ، دار العلم للملايين، بيروت ، الطبعة السادسة ، 1992 م.
37- السيرة النبوية لابن هشام ، 3/ 235 ، 236 . والأعلام ، 4/ 295 ، 296 .
38 - صحيح البخاري ، 4 / 27 ، 28 . والأعلام ، 3/ 113 .